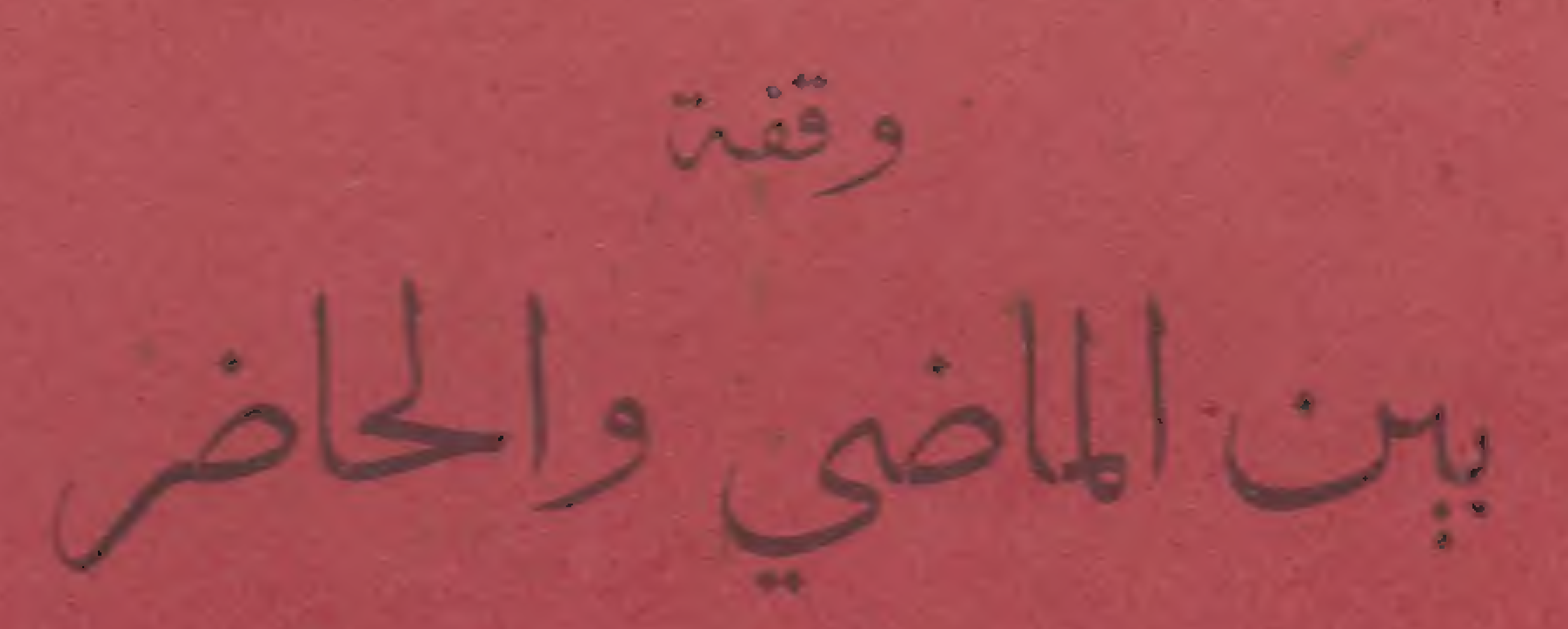


نظرة في الحرب العامة

بقلم الخوري نقولا ابي هنا ب م

مدرّس العربية في مدرسة دير المخلص الاكليريكية (قرب صيدا)

LE PASSÉ & LE PRÉSENT

Coup d'œil sur la guerre mondiale

PAR

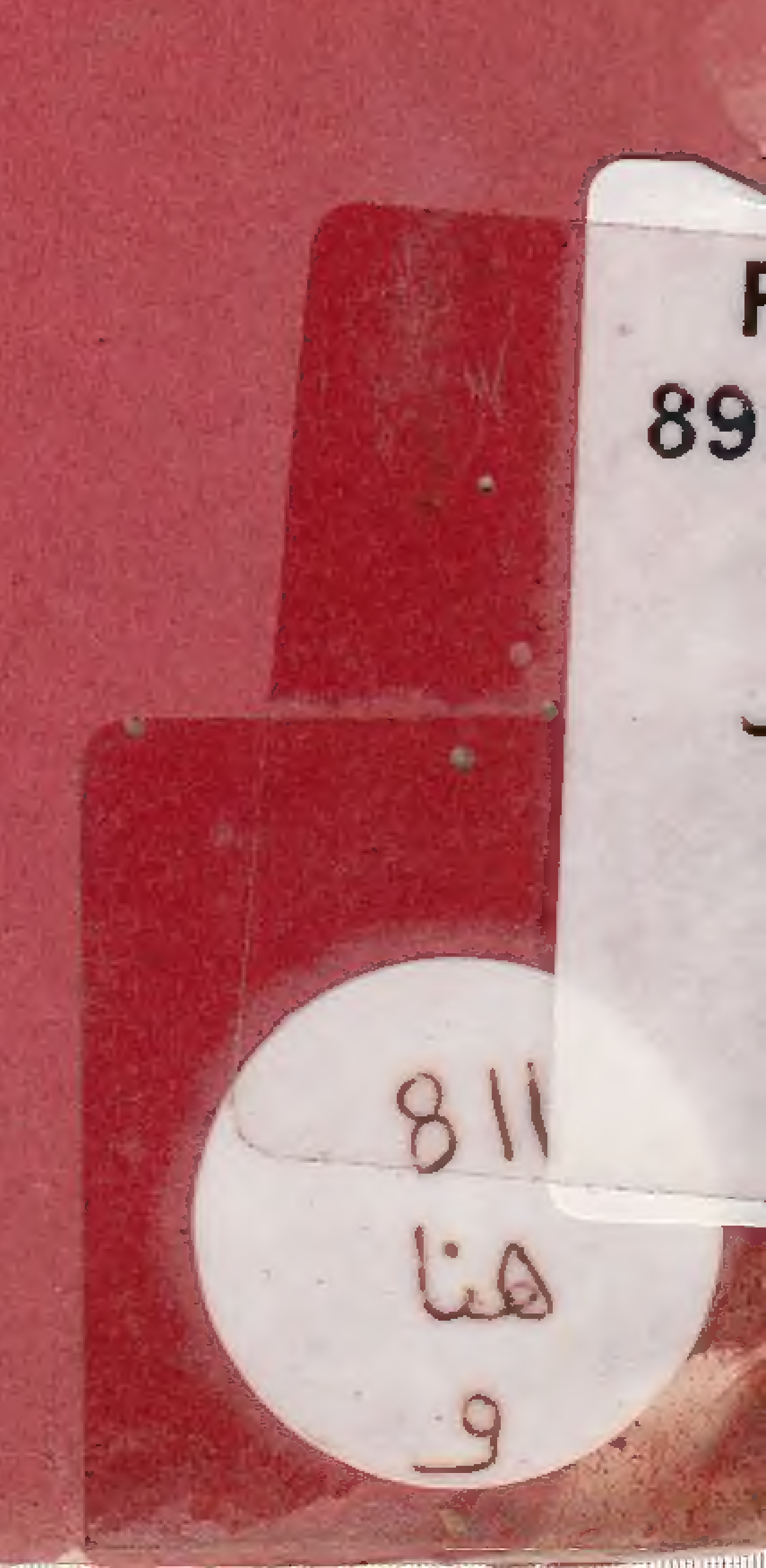
LE P. NICOLAS ABOU-HANA B. S.

Professeur d'Arabe au Séminaire de St-Sauveur
(près Saïda)



المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين

بيروت ١٩١٩



وقفة

بين الماضي والحاضر

نظرة في الحرب العامة

بقلم الخوري نقولا ابي هنا ب م

مدرّس العربية في مدرسة دير المخلص الاكليريكية (قرب صيدا)

LE PASSÉ & LE PRÉSENT

Coup d'œil sur la guerre mondiale

PAR

LE P. NICOLAS ABOU-HANA B. S.

Professeur d'Arabe au Séminaire de St-Sauveur
(près Saïda)



المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين

بيروت ١٩١٩

A

SON EXCELLENCE

MONSIEUR GEORGES PICOT

HAUT COMMISSAIRE DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

EN SYRIE ET EN ARMÉNIE

• لمعالي صاحب السعادة

المسيو جورج پيكو

المعتمد العالي للجمهورية الفرنساوية في سوريا وارمينيا

هذه هديَّتنا اليك وإنَّها   هي ترجمان ضمائرٍ وسرائرِ
نُشرَت مَطاوي حبِّنا لفرنسةٍ   فيها على رغمِ العدوِّ الخاسرِ
إنْ ساءنا « الماضي » بتركيًا فقد   سرَّت فرنسا قلبنا في « الحاضرِ »
دامت معاليها ودام مديحها   مَعنًى يجول بكل قلبٍ شاعرٍ !!

المدرسة الاكليريكية للرهبانية الباسيلية المخلصية

وقفة*

بين الماضي والحاضر

وهي منظومة في الحرب العامة وبيان اسبابها ووصف اهوالها وما حاق بسوريا على العموم ولبنان على الخصوص من الضيق والفاقة ومظالم الدولة التركية البائدة واستبداد طاغيتيها الأكبرين انور باشا ناظر حربيتها وجمال باشا ناظر بحريتها الذي كان قائد فيلقها الرابع واليهِ مرجع الاحكام في الامور العسكرية والملكية في سوريا كلها وقد اتى من ضروب الظلم ما تشيب لهُ الولدان ولاسيما وقد خلا لهُ الجو فابتزّ الاموال وقتل الرجال واحدث المجاعة التي لم يرو عن مثلها الراوون . وقد ختمت هذه المنظومة ببيان لطف الله بعباده وقهر البغاة الطغاة من الالمانيين والاتراك بقوّات دول الاتفاق المباركة مع القوات الاميركانية بقيادة المارشال العظيم فوش ومن هنا استطرق الى مديح الدولة الفرنساوية المحروسة وذكر فضلها على الانسانية وتحية علَمها الكريم لا زال مرفوعاً على يفاع المجد والفخر ولا زالت رجاله أعزّة بعون الله وجيوش النصر

* « وقد أُلقيت هذه المنظومة في مدرسة دير المخلص أثناء حفلة أُقيمت فيها يوم السبت في الثامن عشر من كانون الثاني سنة ١٩١٩ ابتهاجاً بانتصار الدولة الفرنسوية المحبوبة وإدالة بلادنا من طواغيت الاتراك بهذه الدولة الكريمة الرحيمة ملاذ الانسانية والعدل »

أَسِني المصائبِ خَبِّرينا هل مرَّ مثلُكِ في السنينا
وهل الأوائلُ شاهَدَت ما شاهدتهُ الآخرونا المتأخرونا
من ويلِكِ المجتاحِ والـ كُرَبِ التي منهُ لقينا
هل بانَ رمزُكِ في الطوالعِ م ليلةً للراصدينا
أم كنتِ بكرًا في النحوسِ م وقد أتيتِ بها فنونا
أم كنتِ في صدرِ الزمانِ م لعهدنا سرًّا دفينا
أم كنتِ شرًّا كامنًا في خاطرِ الدنيا كنينا
حتى إذا حُمَّ الأوانُ م بُعِثتِ بينَ العالمينا
ووثبتِ وثبةَ حانقٍ نيرانُ شِرَّتِهِ حمينا
والناسُ في سَكَراتِهِمْ عن ويلِ بطشِكِ غافلونا
زمجرتِ زمجرةَ الضياغِمِ م حينَ غادرتِ العرينا
بل كُنتِ قابضةً على هُوجِ الخطوبِ لتبتلينا
فأمرتِها وهيَ التي تمضي على ما ترسمينا
فأثرتِ عاصفةَ القضاءِ م على عروشِ العاهلينا
وأطرتِ عن جمرِ القِلى سترَ الرمادِ لتشعلينا
وبعثتِ حربًا في الملا وردوا بموردها المنونا
حربٌ هي الحربُ الطحونُ م وقلَّ أن تدعى طحونا

دارت رحاهـا بالدّما فغدا الشباب لها طحينا
شملتْ جميع الارض ويلًا م والخلائقَ أجمعينا
وأتت على روض الشبابِ م وقصّفت منهُ الغصونا
وتخيّرت من زهرهِ ما راقها لوناً ولينا

***

يا أيها القمران إنكما م لخيرُ الشاهدينا
عاينتما بدء الزمانِ م وجزتُما فيهِ القرونا
فهلمّ . ما شاهدتُما وتحرّيا الخبَر اليقينا
هل كانَ مُذ أشرقتما بؤسٌ كبؤسٍ حلّ فينا ؟
كلّا فذلك لم يكنْ وبظنّنا أن لن يكونا
تلك الشدائد ما شهدنا م مثلَها في السالفينا
ألقى البلاء جرانَهُ وأقامَ بينكمُ ركينا
والبؤسُ عمّ وقد بدَتْ أشباحهُ في البائسينا
جعل الأسى أكُلًا لهم وشرابَهم دمعًا سخينا
والظّلمُ أصبح سائدًا والعَدل أمسى مستكينا
يشكو سرارًا حزنَهُ خوفاً فيبعثهُ أنينا
فالظلم من غاياتهِ أن يُخرس اللّسِنَ المبينا
والموتُ يلتهمُ العبادَ م ويا له نهِمًا بطينا
لقِفَ الرجالَ مع النساء م معَ البناتِ مع البنينا
لم يُبقِ غير قليلهم جورًا وغال الاكثرينا
يزداد جوعاً كلما ألفى العباد مصرّعينا
كالنار إمّا زدتها حطباً تزيد بهِ جنونا
فالارض مادت والكواكبُ في مطالعها خشينا

حتى لقد خلنا الزمانَ م الى الفنا يُحدى هجينا
ماذا جرى ما بينكم أهل البسيطة ؟ حدّثونا !

***

جرى أنَّ المآثمَ قد تناهت وسيل شرورها في الارض سالا
طغى الانسان والطغيانُ مُردٍ وأهمل حقَّ خالقهِ تعالى
تعبّد للرجاسة دون ربٍّ أفاض عليهِ أنعُمَهُ سِجالا
فأوسعهُ على العصيان حِلماً فلم يزدَدْ بهِ إلّا ضَلالا
فأغضبتِ السماءَ عقيب صبرٍ عليهِ ولم تُطِق بعدُ احتمالا
ورامت أن تؤدّبَهُ وتبدي لهُ من بعض قوّتها خِلالا
فلم تصنع سوى أن سلّمتهُ الى طاغي الهوى عبدًا مُذالا
وقد خدعتهُ بارقة الاماني وعقلٌ ظنّهُ بلغ الكمالا
بأن قد صار في الدنيا إلاهاً تضيق بهِ جوانبها مجالا
وأبرز من زواياها الخبايا وطال العلمَ أجمعهُ ونالا
فأنشأ كلَّ بارجةٍ كطودٍ حشاها بالمنايا فاستطالا
جبالٌ قاذفاتٌ كلَّ ويلٍ وكم هدّت صواعقها جِبالا
وغوّاصاتُهُ في قلب بحرٍ كحيتانٍ تطلّبتِ اغتيالا
وطيّاراتُهُ تحكي نسورًا تُحاولُ في مسارحها صيالا
يغنّي في الهواء لها لسانٌ « يقول غرائب الموت ارتجالا »
تجبّر من جهالتهِ وأضحى يَروم النجم كِبرًا واختيالا
تفاءل بالاساطيل اغترارًا وشرُّ الشؤم ما قد ظُنَّ فالا
فخال السعدَ كلَّ السعدِ فيها وكانت في حقيقتها وَبالا
أعدَّ بها ولم يعلم قصاصًا لآثامٍ أساءَ بها الفعالا
وأنكى ما يكون قصاصُ مَرءٍ بما اصطنعت يداه لهُ نكالا

ونادتهُ المطامعُ آمراتٍ فلبى أمرها العالي امتثالا
وناجى قلبُهُ منها إلاهًا إليهِ صبا على وجدٍ ومالا
ورام هدايةً منها ورشدًا إلى إدراكِ ما يبغي منالا
فزيّنت الحروب له وقالت أَثِرها عاصفًا تُسفي الرمالا
وهُبّ على أخيك بنار حربٍ وأَلهِب غابة الدنيا اشتعالا
وذَرْ خَوَر الطبيعة من حَنانٍ وكُن صلدًا ولا تشكُ الكلالا
الى أن تستتبَّ لك المعالي وتأبي عنك دولتها انتقالا
وتُلبَس من شموس المجد تاجًا وتُحذى مِن كواكبها نعالا
وتصبح سيّد الارضين طرًّا وتُخضع في منازلهِ الهلالا
ويصدق فيك ما قال المعرّي قديماً في المدائح حيث قالا
« فلو انَّ الرّياح تهبُّ غرباً وقلت لها هلا ! هبّت شمالا »

***

وأَوحت وهي خادعةٌ إليهِ أَنِ اُختُلْ خَتْلةً تدعو القتالا
أَلا اُرزأْ دولة النمسا وليّاً لعهدٍ واُغمدَنَّ بهِ النِّصالا
فتذكوَ جمرةُ الاحقادِ حتى تكون الحربُ عن ثأرٍ نضالا
فهذه حيلتي فأركن اليها فما فاز أمروءٌ إلّا احتيالا
كفى ما قلتُهُ وأنا سأُلقي على غليومَ مُعتَمَدي اُتّكالا !!

***

سَعَت رُسْل الاطماع من أرض صربيا لتقضيَ ما قاضي الغوايةِ راسمُ
زعانِف أُغروا بالفساد فأقدموا ولم يُغرهم إلّا الملوكُ الاعاظمُ
فدبّوا الى النمسا دبيبَ عقاربٍ تخفّت عن الابصار وهي هواجمُ
وغالوا وليًّ للعهد ظلماً كما ارتضت دنانير مَن أغروهم والدراهمُ
فأَعظمت النمسا الجناية وانثنت لها غضبٌ تهتزُّ منهُ العواصمُ

يعزُّ عليها أَن يكون أميرُها صريعاً ولا تغلو عليه المغارمُ
فهدّدت الصرب التي غدرت بها تهدُّدَ ليثٍ للفرا وهو ناقمُ
وقالت لها يا صربُ كبرتِ لقمةً تغصُّ بها من آكليها الحلاقمُ
ألا فاخلعي اقطاب جيشكِ عاجلًا فقد عظمت اسواؤهم والجرائمُ
وقودي اليَّ المجرمينَ وجاهري بنكرهم «فالمتلف الشيء غارمُ»
فان لم تطيعي ذلك الامر عن رضى أطعتِ على كرهٍ وأنفكِ راغمُ
فانكرت الصرب الخضوع وقد رأَت ملاذًا بروسيا فباتت تقاومُ
فطار شرار الشر يُنذر حرّهُ بما سيُذكّي خطبهُ المتفاقمُ
إذا هاجت النمسا تهبُّ لنصرها حليفتها ألمانيا وتلازمُ
وتتبعها إيطاليا لتعاهدٍ كما قضت الاهواء في ما يلائمُ
وتنهض روسيا لنصرة صربيا وتدوي لها في الخافقين هماهمُ
وتعضدها أبريطانيا وفرنسةٌ فتنشب بين الجانبين الملاحمُ
وتشعل أوربًا بنيرانها وغًى تعود بها الامصار وهي فواحمُ
وتدوي براكين المدافع بالرّدى فتجفل منها في ثراها الرمائمُ

***

وأعيا تلافي الويل بيس حبرَنا ولم يُقضَ ما شاءته تلك المكارمُ
جرى قلمُ الاقدار بالويل والبلا فما من يدٍ تمحو الذي هو راقمُ
وسادت على الاكباد أحقاد أهلها فليس بسهلٍ أن تُسلّ السخائمُ
قضى بيسٌ لهفانَ أقصده الاسى وقد هاله الخطبُ العظيمُ المداهِمُ
ينوح عليهِ الدينُ والعلمُ والحجى وفي الشمس من حزن عليهِ علائمُ (١)

***

وصحّ اليقين المرُّ واُهتاجتِ الوغى ونادى منادي البين أن ليس عاصمُ
وقد هبَّ غليوم العظيم على العدى وفي قلبهِ جمرُ الضغينةِ ضارمُ

وقد أسكرتهُ سورة المجد والعُلى ... وعِزٌّ أقتدارٍ شاهدتهُ العوالِمُ
فقام على الدنيا خطيباً مهدّدًا ... وفي يدهِ صافي الحديدةِ صارمُ
وقال أنا غليومُ يا أرض فأعلمي ... ولا تُنكري بأسي فبأسيَ حاطمُ
أنا الليث لا يخفى أقتداري على العدى ... «وقد عرفَت ريح الليوث البهائمُ»
فما راقني إلّا الدماء مشاربٌ ... ولا شاقني إلّا الرجالَ مطاعمُ
يطبّق وجهَ الارض جيشيَ كثرةً ... وما فيهم إلّا الأسودُ الضراغمُ
وعندي سلاحٌ يملك الجنّ رهبةً ... ومالٌ تضاهيهِ النجومُ النواجمُ
وتلك أساطيلي العظامُ كأنّها ... جبالٌ على مَتنِ الخِضَمّ عوائمُ
وتلك مناطيدي وعقبان نُصرتي ... تسابقُ عقبانَ السما وتزاحمُ
غمائمُ يمطرنَ المنايا على العدى ... صواعقَ لا تأتي بهنّ الغمائمُ
فويلَ فرنسا من بوادر قوّتي ... فكيف تلاقيها وكيف تصادمُ؟
وويلٌ لروسيًا ودولةِ لندنٍ ... إذا عُقِدَت في الأمتين المآتمُ
وويلٌ لمغلوبٍ يُخلّد عارهُ ... وعزٌّ لسيفٍ حالفتهُ الغنائمُ
لمجدكِ يا ألمانيا نقصد الوغى ... ونبذلُ أرواحًا فنحنُ الاكارِمُ
فلا أنثني عن قهر أعداء دولتي ... وقائمُ سيفي في يميني قائمُ
ستغدو فرنسا بعد حينٍ فريسةً ... وليسَ لها بينَ البريّةِ راحمُ
سأهدمُ روسيًّا وأجعل قبلها ... بَرِيطانيا فيها المنايا خوائمُ
سأجعلُ أوربّا بل الارضَ كلها ... بحورَ دماءٍ موجها متلاطمُ
سأنثر أشلاءَ الاعاديّ في العرا ... تَناوَشُها وحشُ الفلا والقشاعِمُ
فأغدو المليكَ الفردَ في عرش عزّتي ... يُسالمني صرفُ القضا وأسالمُ
عزائمُ ما صحّت لغيري وإنّها ... «على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ»

***

تكلّم غليومٌ بما شاء سُكرهُ ... ولم يدرِ أن الدّهرَ ضدٌّ مقاومُ

فنبَّههُ رَعدُ المدافعِ قائـلًا   رُوَيدكَ يا غليومُ إنـك حالمُ

***

ومشتِ الجندُ الى الهيجاءِ   مشتاقةً حرّى الى الدمـاء
وكلُّها من نُخبـة الشبَّانِ   في ريّق العمر كغُصن البانِ
تبسمُ في وجوهها الحياةُ   وعابِسٌ وراءها المماتُ
يعدها النشاط بالآمالِ   والدهرُ سوّاقٌ الى الآجالِ
وجانب النمسا مشى الالمانُ   وقعدت عن نصرها الطليانُ
وهبّتِ الروس لنصر الصربِ   جرياً على حكم الهوى والحبِّ
فأعلنتْ حربًا عليها النمسا   فهيّجت هيجاؤهـا فرنسا
فانتصر الالمـان للحليفهْ   والانكليز عضدوا الأليفَهْ
ونهضت كذلك اليـابانُ   فذاق طعم كيدها الالمانُ
فامتلكت جُزُرهم عن مقدرهْ   ولم تخف عربدةً وزمجرهْ
والجبل الاسودُ ايضاً غضبا   لصربيا جارتـهِ فوثبـا
لكنّهُ مع بأسهِ صغيرُ   فلم يطُلْ أن نالهُ التقصيرُ
لا يطلب الانسانُ من إنسانِ   إلّا الذي في الوسع والامكانِ
والبرتغالُ دخلت في الصفِّ   والبارَزِيلُ شمَّرت للزحفِ
ثم مشت عساكر الطليانِ   تغلي على النمسا من الاضغانِ
إذ آنست من ضعفها آثارا   فنهضت تطلب منهـا ثارا
فتمَّ فيها مَثـلٌ للقومِ   صديقُ امسي وعدوٌّ يومي
وحرّشت ألمانيـا تركيًا   فأعلنت حربًا على روسيًا
ودخلت بلغاريا في عهدها   واثقةً لجهلهـا بوعدها
أن تستردَّ أذرَنا المفقودهْ   وكان وعدها لها مكيدهْ
فاشتبك العراكُ والقتالُ   وقارعت اقرانها الابطالُ

وغلَتِ الأطماعُ والآمالُ　　تجبرًا وأسترخصَ الرجالُ
وصارت الدنيا كنهر جارِ　　من الدّما أو مارجٍ من نارِ
تُشوى على لهيبهِ الشبابُ　　ودمُهم يُسقى بهِ الترابُ
وأستأسدت ألمانيا من جشعِ　　وأرتكبتْ كلَّ شنيعٍ أفظعِ
وداستِ العهود والاحكاما　　ولم يجانِب جيشها حراما
وهاجمت من بلجكا الاسوارا　　قصدًا الى فرنسةَ أستكبارا
فقامت البلجيك مع قُلّ العَدَدْ　　في وجهها سُدًّا منيعًا لا يُهدْ
ودافعت ببأسها الشديدِ　　وأظهرت شجاعةَ الاسودِ
لكنَّها قد غُلبتْ أخيرا　　من بعد أن قد جاهدت كثيرا
فرجعت تنضمُّ مع أنصارها　　مُغضبةً تريدُ أخذ ثارِها
وكان جيشُ الاتّفاقِ يضربُ　　منتصرًا وهو ليوثٌ تغضبُ
وكانت الالمانُ أيضًا تنتصرْ　　ثمَّ تعودُ بعد حينٍ تنكسرْ
لكنَّها بين انكسارٍ وظفرْ　　تُمعِنُ في الشرّ وفي ضيم البَشرْ
وزادها تماديًا في الشرِّ　　خيانةٌ في الروس ذات مكرِ
بعثها القيصر في القوّادِ　　سرًّا فساءَتْ حالة الاجنادِ
فما يبالي جنبُ حُبّ القيصرَهْ　　أخان عهدًا أم اضاع عسكرهْ
فاسترسلَت ألمانيا في الظلمِ　　عاتيةً واوغلت في الاثمِ
كم نسفت كنيسةً ومعهدا　　للعلم تُجلى منهُ انوار الهدى
كم خرّبت مدائنًا ولم تذرْ　　من طللٍ يشخص فيها او اثرْ
مخلّةً بما اقتضتهُ الحربُ　　كما درى القومُ الكرام النُّجبُ
فظائعٌ لم تأتها الأوابدُ　　وهي بعُرض بيدها شواردُ
وحسبها فضيحةً أن خطبتْ　　وداد تركيًّا وفيها رغبتْ
فمالها عذرٌ وإن كانت على　　غرَقها تمسكُ احبال الهوا ! !

اتدّعي نباهة الاخلاقِ ثم تماشي دولة النفاقِ ؟
دولة تركيًّا التي لم تُشهَرِ إلّا بسوء خبرٍ او مخبرِ ؟
أمُّ الفجور دولـةُ المظالمِ جرثومة الفساد والمآثمِ
اسيرةُ الجهل عدوُّ النورِ حربُ العلوم بومةُ الديجورِ
ذميمة العهدِ بلا ذمامِ خوّانةٌ في النقضِ والإبرامِ
حزقّةٌ ممسوخةٌ شنعاءُ يحسُنُ فيها وحدَهُ الهجاءُ
قد غنمت فرصةهذي الحرب للسلبِ من بلادها والنَّهبِ
اركانُها كلُّهمُ لصوصُ عمّ فلا يلزمُك التخصيصُ
ومنهمُ لصَّانِ مشهوران هما زعيمان على الاركانِ
«اظلمُ» باشا ناظرِ الحربيَّهْ مَعَ «القبيح» ناظر البحريّهْ
ولا اقولُ «انورًا» للاوّلِ ولا «جمالًا» للَّئيم الأَنذلِ
أيُّ بلاءٍ قـد دهى سوريّهْ من ذلك المِسخ الخبيث النيَّهْ
وما دهى لبنـان بالاخصِّ من ذلك الوغد اللئيم اللّصِّ
هيهات أن تُحصى مساويهِ فإن أوجزتها فليتَّسع فيها الفطِن
ساق الرجال مثلَ أنعامٍ إلى حتوفهم ولم يراعِ البـدلا
يأخذه في اليومِ ثمَّ في الغدِ يأتيهمِ بأمرهِ المجـدَّدِ
وقتّـلٍ الشيوخَ والشبّانا كما ارتضت شرّته عُدوانا
فساحةُ البرجِ عليهِ تشهـدُ وذكرُهُ الملعونُ فيها يخلدُ
والقدس مع دمشق ايضاً وحلب شاهدةٌ بظُلمهِ وما ارتكب
بل إن أرواحَ الذين قَتـلا شاهدةٌ بسوء ما قـد فَعلا
وأدمـعُ الثواكلِ الغزارُ تخبرُ عمّا قد جنى الغدّارُ
فنهض «الشريفُ» يدعو العرَبا من كلّ صُلبِ العود نجدٍ أغلبا
أغضبهُ التركُ فثارَ والتهَبْ وهو ينادي يا لِثاراتِ العرب

فهبّت الأعرابُ للنزالِ وقد رأت بوارق الآمالِ
إذ حالفت جيوش الاتفاقِ على بني عُثمانٍ السُّرّاقِ
فزاد في المظالمِ اللئيمُ والحِقدُ فيهِ مقعدٌ مُقيمُ
ومثَّلَت قسوته بالكهَنَهْ مخوّناً وهو زعيم الخوَنَه.
وأبعدَ الناس إلى المنافي من سادة البلاد والاشرافِ
وأبعد القسوسَ والمطارنه ايضاً ليشفي قلبُهُ ضغائنَه
والذنبُ كلُّ الذنبِ أن أحبُّوا فَرنسةَ الحُسنى ونعم الذنبُ
وضربَ الضرائبَ الفوادحا وارتكبَ الشرور والفضائحا
وجمع البغالَ والحميرا عوناً لهُ في حربهِ مجيرا
ومن تلكُ البغالُ والحميرُ أنصارَهُ. فإنهُ مكسورُ !!
واستأصلَ الغابات والاشجارا حتى غدت بلادنا قِفارا
وحجز الاقواتَ حتى ينهبا مجمعاً مهما استطاع الذهبا
وقصده أن يقتُلَ السُّكّانا جوعاً وأن يميتهم هوانا
وساعدتهُ زُمَرُ التجّارِ أهل الغوى بل قادةُ الكُفّارِ
فاحتكروا ما شاءت الاطماعُ إذ ليس عن جماحها رداعُ
واستكلبوا في الدين اذ تطلّبوا فوائداً فواحشاً لينهبوا
والورقُ الماليُّ زاد البِلّهْ في طينة الخطب وأذكي العلّهْ
وشركةُ القمح جمام الكيلِ وويلُها قد كان شرَّ الويلِ
فاحتكر الظلّامُ فيها الحبّا وسرق الاموال فيها كسبا،
فامتنع القوتُ على الفقيرِ وشبِعَتْ قواعدُ الفجورِ
وقمحها الصافي إذا ما فُحصا رُبعٌ وباقيهِ تُرابٌ وحصى
لذاكَ كان خبزها كالفحمِ أو مثلَ نفس الظالم ابن اللؤمِ،
وسُدّت السُّبلُ عن ارتزاقِ وأخذ الخناقُ بالاعناقِ ..

فانتشر الويلُ وعمّ الخطبُ   وطال إعوالُ الملا والنَّحْبُ
وزاد في ارتفاعِهِ الغلاءُ   وقد تفشّى الجوع والوباءُ
فسعر رطل القمح قد زاد إلى   سبعين غرشاً ذهباً ! يا للبلا !
وكلُّ ما يُؤكلُ والملبوسُ   زادَ غلاءً مثلَهُ فقيسوا
إشارةٌ ذكرتها لتعلموا   هول الرزايا واللبيب يفهمُ
قد باعَ يا لهفي بنو لبنانِ   املاكهم بأبخس الاثمانِ
هيهاتِ إنّ «الجسا» لا تكفي   في وصفِ ذاك الحيف حقّ الوصفِ
وبيعتِ الثياب والاثاثُ   لم يبقَ إلّا خرق رثاثُ
يثّمن الحقلُ بألفِ عشرهْ   ويُشترى بمدِّ قمحٍ او ذُرَهْ
فصار كلٌّ حينَ عزّ القوتُ   يغبطُ مَن في يومِهِ يموتُ
محتسباً كلّ نهارٍ زالا   اخفّ ممّا بعده اهوالا
واستفحل المَواتُ في البلدانِ   يَرتعُ في مراتع الابدانِ
والبؤساء اصبحوا ألوفا   يسقيهم ساقي الردى حتوفا
فكم شهدنا الناس في القفارِ   يجمّعون خضر البراري
تسابقوا لسد بعض الرمقِ   لانّهُ يخيب من لم يسبقِ
يمشون كالاشباح ضعفى جوّعا   والموت يمشي بينهم مروِّعا
وكم رأينا جائعاً مُكبّاً   يلقطُ من روث البهيم الحَبّا
او بزر خرنوبٍ عن المزابلِ   او قشر ليمونٍ عن السوابلِ
او ورق اللوف او اللفوفِ   إذ لم يكن يطمع بالرغيفِ
وكم رأينا من فقيرٍ يأكلُ   من جيفةٍ عن نهشها لا يُشغلُ
وكم رأينا معدماً مطروحا   يستلُّ منهُ الجوع تلك الروحا
أقعدهُ الضّعفُ عن التّجوالِ   وعن شكاة الحال والسؤّالِ
وكم شهدنا غيره ضئيلا   على السبيل شاكياً ذليلا

ليس له غير البُكاء عُدَّهْ وتلك لا تدفعُ عنهُ شدَّهْ
كلاّ ولا يُطفأُ حرُّ الجوعِ بما تسحّ العين من دموعِ
يقول لكن بلسان الحالِ قول البديع في الزمان الخالي
« ويلي على كفَّينِ من سويقِ يفثأ عني سطوات الرّيقِ
يقيمني عن منهج الطريقِ يا رازقَ الثروة بعد الضيقِ
سهّل على كفّ فتىً لبيقِ ذي نَسبٍ في مجدهِ عريقِ
يُهدي اليَّ قدمَ التوفيقِ يُنقذ عيشي من يد الترنيقِ »

***

عارٌ عليكم أيُّها التجّارُ يا ويلكم إنّكم فُجّارُ
قد استطبتم أكل لحمِ البشرِ فأنتم بالحقّ شعبٌ بربري
أين الحنانُ؟ أينَ حبُّ الوطنِ؟ أليس فيكم غيرُ نذلٍ ودني؟
أين القلوبُ يا عبيد الدرهم؟ هل داسها طاغي الغِنى بالقدم؟
أم مصَّ منها الدمَ حُبُّ الاصفر؟ أم هي فيكم قِطعٌ من حَجر؟
أين التُّقى والدينُ؟ أين الشرف؟ أين النُّهى؟ أين الحكيم المنصف؟
هيهاتِ! كلُّ ذاك صار أثرا محقّرًا في عين أرباب الثرا
قد نزفوا مال الفقيرِ المُعدمِ ولم يبالوا ببُكا المسترحمِ
ولم يراعوا ذمّةً ودينا في جانب الكسب الذي يرجونا
وكُلُّهم من طمعٍ يشتعلُ يتمُّ فيهِ ما يقولُ المَثلُ
« كالحوت لا يُرويهِ شيءٌ يلهمُهْ يُصبح ظمآنَ وفي البحر فَمُهْ »

***

يا هولَ حربٍ غالت الأناما وأطفأت إعصارها السّلاما
مرّت سنوها أربعاً ونِصفا وكم أماتت مئةً وألفا
وكم جرّعنا الصبرَ فيها صِرفا وكم حملنا كربةً وعَسفا

يا هل تُرى اقتربَتِ القيامَه   فهي على أهوالها علامه ؟
وهل أراد الله محو البشرِ   لكثرةِ الشرِّ وسوءِ الأثرِ ؟
أم كان ذاكَ منهُ تأديباً قُصِدْ   يرحمنا من بعدهِ لنرتشِدْ ؟
نَعم فهذا قصدهُ تعالى   فاسمع وسبّح ذلك الجلالا

***

رأى العليُّ رزايا الخلق قاطبةً   فخفّ من سخطهِ ما كان يضطرمُ
وأدركتهُ عليهم رحمةٌ وسعت   كلَّ الخلائق من ألطافها نِعمُ
وقد رأى جور غليومٍ وفخرتهُ   وأنهُ بسلاح البغي يعتصمُ
فرام إذلال ذاكَ الكبر يخفضهُ   عدلاً فيُرغَمُ منهُ ذلك الشَّممُ
وغاظهُ عسفُ تركيّاً وما ركبتْ   من الشرور التي استشرت بها النّقمُ
فهبَّ يقتص منها وهيَ جاهلةٌ   أن المظالم في اعقابها ندَمُ
فاختار فوشَ الجليلَ الشأن يعضدهُ   لنصر حقٍّ دعاهُ وهو مهتضَمُ
وقاد وِلْسُنَ تعزيزاً لجانبهِ   والحربُ تغلي وموج الموتِ يلتطمُ
فان يكُ الرُّوسُ خوّاناً كعادتهمْ   فعند وِلْسُنَ يرعى العهد والذِّممُ
عبّأ الرجال على ألمانيا حنقاً   يحثّهُ الحافزانِ الحقُّ والهممُ
والانكليز استجاشوا عسكراً لجِباً   تدري العدى بأسهُ والعُربُ والعجمُ
لله درُّهمُ قوماً ذوي جلَدٍ   ما دبَّ قطُّ اليهِ العجزُ والسأمُ
هبّوا على الظلم آساداً قساورةً   ينكّلون باشياعٍ لهُ غشموا
وأرسلوا لفرنسا من رجالهم   عوناً تعزُّ بهِ أبطالها البُهَمُ
وقام فوشُ يقود الجيشَ أجمعهُ   بحكمةٍ دهشت تلقاءها الحِكَمُ
رأوا بهِ قائداً ذا خبرةٍ علَماً   لا يُستزلُّ لهُ رأيٌ ولا قدمُ
فاستلمحوا النصر من اشراق كوكبهِ   فقلّدوه ~~يسلّم~~ عليٌّ الأمر كلهمُ
والله آتاه من عليائهِ مدداً   كما ارتضى حلمهُ واللطف والكرَمُ

عليٌّ

ففوش آيتهُ الكبرى التي ظهرت … نورًا تجلّت بهِ هاتيكم الظُّلَمُ
تدرَّع الدين معتزًّا بعصمتهِ … والدين عزّه إذ عزت العِصمُ
ما خاب قطُّ أخو التقوى وليس يرى … غير الهدى من بوسم الدين يتَّسِمُ
ريب المنون ! بهِ المانيا صُعقت … فورًا فاركانها تهوي وتنهدمُ
وجيشها دبَّ فيهِ الذعر من فشلٍ … حتى غدا وهو كالظِّلمان ينهزمُ
في معركِ المَرْنِ قد طاشت حلومهمُ … هناكِ بالصخرة الصمَّاء قد صدموا
فاستسلَمتْ لفرنسا وهي صاغرةٌ … فعاد ذُلَّ صَغارٍ ذلك العِظَمُ
وأصبحَ التركُ لم نشهد لهم أثرًا … ما بينَ ليلٍ وصبحٍ حاقهم عَدَمُ
من بعدما اغتنموا أموالنا سَلَبًا … ولَّوا وكُلُّهم للفَرِّ يغتنمُ
حُلمٌ لعمركَ كنَّا حالمينَ بهِ … واليوم قد صار حقًّا ذلك الحُلُمُ
إلى المغاور يا أتراكُ ! فانهزموا … أولى بكمْ يا ذئاب الغابُ والأَجمُ
بشِمتمُ من دمانا واللحوم فهل … أفادَكم غير حتفٍ ذلك البَشَمُ
أدالنا الله منكم يا ذئابُ وقد … باتت على الأمن مُذ أدبرتمُ الغنمُ
هذه فرنسا أطلّت وهي حاملةٌ … من المكارم ما تهمي بهِ دِيَمُ
فأطفأت جمرة الحزن التي احتدمت … دهرًا وزال بها مذ وافت السَّقَمُ
وضمَّدت جرحنا الدامي مراحمها … حتى لقد كاد يُنسى الجرحُ والألمُ
أهلًا وسهلًا بها من دولة شرفت … وطاب عنصرها المحمود والشيمُ
ذاعت محامدها عزَّت قواعدها … بالعدلِ وهي على الإنصاف تدَّعِمُ
والعلمُ والدين والدنيا بها اجتمعت … فكان فيها لوفد السعد مزدحمُ
ونورُ آدابها في الكون منتشرٌ … وجودها بين خلق الله مُقتَسَمُ
يسمو بها المدحُ منثورًا جواهرهُ … وجوهر الشعر يسمو وهو منتظِمُ
يزهو بسوريَّة الحسنى لها عَلَمٌ … يصافح النَّجم مجدًا وجههُ الوسِمُ
غنَّت قماريُّ لبنانٍ له فرحًا … وقد زها سهلهُ بالزَّهر والأَكَمُ

مثلَّث اللَّون قد رقّت لطافتُهُ   في وجههِ النورُ بالآمالِ يبتسِمُ
رمزُ العفاف إلى رمز السلام إلى   رمزِ الشَّجاعـة حقًّا أنتَ يا عَلَمُ
فإن نُحيّكَ عن حبٍّ وتكرمةٍ   فليس تجهل فينا حبَّك الأُمَمُ
حُيّيتَ يا عَلَمَ أُفرَنسا ولا برحت   على مودَّتـك الأَهواءُ تلتئمُ
واللهُ يوليـك أَرِّخ جاه نصرتهِ   والسَّيف يخدمِ ما يوليك والقلَمُ

سنة ١٩١٩

مدرسة دير المخلّص (قرب صيدا)
في ١٨ كانون الثاني سنة ١٩١٩

الخوري نقولا أبو هنا
أحد أبناء الرهبانيَّة الباسيليَّة المخلصية

بكر الكنيسة

« أنشدت اثناء حفلة اقامها في صيدا في الدار الاسقفية للروم الكاثوليك سيادة الارشيمندريت باسيليوس شحاده ب م النائب البطريركي اكراماً للحاكم العسكري الفرنساوي للمدينة المذكورة وذلك بعد قداس حافل حضره الحاكم المشار اليه وقد دُعِيَ الى ذلك الاحتفال حضرة رئيس المدرسة الاكليريكية للرهبانية المخلصية الخوري اثناسيوس الحريطي ب م وجميع معلمي هذه المدرسة وتلامذتها »

بكرُ الكنيسة عون الله راعيها   وجيشها بسلاح النصر يحميها
حِصنانِ عزَّت على رغم العدى بهما   فكيف تبلغها يومًا أعاديها
يا دولةً غُرِست فينـا محبتها   ونحن كنَّا بماء القلب نسقيها
حكنًا ودمنا وخاب المبغضون فلم   تنلْ مكايدهم منَّا أمانيها
نَمَتْ محبتها فينا وقد نضرت   فلم يكن عاصف الايام يُذويها
رُويد ظلمك يا أبن الترك في بشرٍ   ما زال حُبُّ فرنسا من مباديها
فأنتْ أعجزُ والايام شاهـدةٌ   من ان تباعدها عنهُ وتلويها
باتت مظالمك اللاتي اشتهرتَ بها   عونًا عليك وقد أخطت مراميها

وأرغمت أَنفك الأَيَّام عادلةً ... وشوَّهتك ايادي العدل تشويها
قولوا لغليومَ عُقبي الكبر مَدْرجةٌ ... إلى بلايا على الباغي عواديها
زعمتَ أَنَّك ربُّ الحَوْل تملكهُ ... والدهرُ عبدُك والدنيا ومَن فيها
منَّتك نفسك مجدًا لستَ تدركُهُ ... إذ كنتَ بالبُطل عن كِبرٍ تُمنيها
ورمتَ قهرَ فرنسا بَغي ذي إحَنٍ ... كلُّ الخلائق يا غليومُ تدْريها
وما فرنسا غداة الروع هيِّنةٌ ... فعدِّ عنها وخفِّض ذلك التيها
فالله عاضدها والنصر قائدها ... والعدل شائدها والحقُّ مُعليها
وجيشها أُسدٌ يوم النزال وما ... زالت جنود العلى عزًّا تماشيها
قد ألقمتك تراب الذل نجدتها ... فصرتَ أُضحوكةً في الناس نرويها
وعاد أَحلافك الترك الأُولى ظلموا ... مَهانةً في سجل الدهر نحكيها
والله آتى فرنسا نصرةً وعُلًى ... والعزُّ والمجد باتا في معاليها
أَطلَّ كوكبها تجلو أَشعتهُ ... عن ذي البلاد سوادًا من دياجيها
فالله ينصرها دوماً ويحرسها ... ونحن نخلصها حباً ونفديها

صيدا في ٢٦ كانون الثاني
سنة ١٩١٩

الخوري نقولا ابو هنا
أحد ابناء الرهبانية الباسيلية المخلصية




Bibliotheca Alexandrina
03383137